تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

ORGANISE

الملتقى الدولي الحادي عشر

Onziéme Colloque International

التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

المحور الثالث:

العلاقة بين أهل التصوف وغيرهم

التوجهات السياسية للحركات الصوفية
الحركات الصوفية كجماعات ضغط

د. حسن الدعجه
أستاذ المساعد
قسم الاعلام والدراسات الاستراتيجية
جامعة الحسين بن طلال

الملخص:

الحركة الصوفية مثل غيرها من الحركات الاجتماعية، تخضع للطبيعة المتغيرة في الكون ودورانه، فإن أحسنت قراءة النواميس، وتخلصت من الغرور والإعجاب بالذات، ورجعت للقيام بوظائفها الأصلية والأساسية، وتكوين أجيال جديدة، على المستوى الشعبي والجماهيري في المجتمع، إذا قامت بكل هذا وغيره ضمن خطط واضحة، فإنها ستستمر في أداء مهمتها بنجاح، وإذا تراخت وتهاونت في المراجعات والتقويم، والقيام بما ينبغي القيام به، فإنها ستقرب أجلها بنفسها.

ويذهب دالبعض إلى أن الحركات الإسلامية تراخت وتهاونت في المراجعات والتقويم، والقيام بما ينبغي القيام به، وفي الحوار قضايا أخرى حول آفاق العمل الإسلامي الحركي وعلاقته بالحركات الصوفية، والملفات الكبرى المطروحة على العمل الإسلامي.

الحركات والعمل السياسي إن وجود الحركة الإسلامية كوسيلة ضغط يجب ألا يزعجنا، لكن المهم هو كيف يكون هذا الضغط؟ هل لتحقيق مصالح للأمة؟ فهذا أمر جميل ومحمود، أم هو لتحقيق مصالح ذاتية شخصية؟ فهذا أمر آخر، لا يقبله الإسلام ولا المنطق السليم.

ولكن أن تكون الحركة الإسلامية حركة اجتماعية ضاغطة من أجل مصالح الأمة وشعوبها، فهذا ليس فيه أي عيب أو ضرر، وهنا أستحضر ما حدثني به بعض المفكرين من الشرق، وهو أن الحركات الإسلامية يحسن بها أن تبقى جماعات ضغط، تطالب بتطبيق الشريعة والحفاظ على الأخلاق والقيم، وهذا أفضل لها من أن تدخل إلى الحكم، وهذا رأي يناقش أيضا مثل الرأي السابق، فإذا كان الضغط إيجابيا فلا حرج شرعا وعقلا، وإذا كانت جماعة ضغط من أجل مصالح فئوية ضيقة، فهذا هو الإشكال؛ وينبغي إصلاحه.

مقدمة:

بالإطلاع على عدد من تعريفات جماعات الضغط نجد ان لا اختلافات كبيرة بينها وبين تعريف الحزب السياسي، إذ نستطيع التوصل إلى انها تعني ايضاً وجود مجموعة من الأفراد مجتمعين في تنظيمٍ معين على اساس مبادئ وقد تكون مصالح مشتركة لأجل تحقيق اهداف مشتركة في إطار قانوني، في هذا التعريف يُلاحظ ان لا فرق بين جماعات الضغط والحزب السياسي سوى من ناحية سعي الحزب إلى السلطة وعدم سعي الجماعة لها، بدلاً عن ذلك تسعى الجماعة للضغط على السلطة التي وصلها الحزب، وبتعبير ادق تسعى للضغط على الحكومة. علماً ان بعض البلدان تحوي جماعات اكثر تأثيراً من الأحزاب السياسية.

برجوع سريع إلى التاريخ نرى ان الجماعات الضاغطة غالباً مالم تكن تحمل صفة القانونية، بسبب انظمة الحكم الشمولية والطريقة التي كانت تعالج بها معارضة تلك الجماعات من خلال البطش والتنكيل، ماكان يدفعها مظطرةً للعمل السري واستخدام البعض منهم للعنف لتحقيق غايات سياسية وإن تسترت بألبسة مختلفة كل حسب رقعة عمله الجغرافية.

من اشهر هذه الجماعات واكثرها جدلاً في التاريخ الإسلامي في الشرق الأوسط هي الإسماعيلية الذي تسمى في مصادر المستشرقين بالحشاشة.

بعض المطلعين على الأغتيالات والعمليات التي كانت الاسماعلية تنفذها قد يصنفونها ضمن الجماعات الدينية لا السياسية، وما اشبه اليوم بالبارحة عندما نقارن بين المخطط والمنفذ.

كانت اوربا والصين، مصر واليونان تحوي ايضاً على جماعات ضغط عديدة على اشكال مختلفة من عوائل وقبائل او جماعات تجارية ودينية كانوا دائماً يسعون للحصول على مزايا خاصة على حساب الأخرين، رغم اننا لا نستطيع ان ننسبهم إلى الجماعات الضاغطة حسب مفهومنا الحالي لها، إلا انهم كانوا جماعات تضغط لأجل أهداف تجمعها ببعضها البعض.

تعريف الصوفية والتصوف:

قبل الولوج في حقيقة التصوف لابد من تعريفه باعتباره نزعة وجدانية وأنبل الوسائل في التقرب إلى الله. وقد أشار العلماء ورجال الدين إلى أن التصوف«طريقة»شخصية بحتة يتعبد فيها الإنسان على غير مثال يحتذى به إلا قليلاً، ولامذهب يأخذ به إلا لماماً، إذ إن لكل متصوف أسلوباً خاصاً يزعم أنه يقترب به من الله .وأصل التصوف "العكوف على العبادة الانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلو في الخلوة والعبادة".

وشاع التصوف في أديان الأمم كلها: في الوثنية والمجوسية واليهودية والمسيحية والإسلام، وقد عرفه في بعض أشكاله البابليون واليونانيون والرومان والهنود والصينيون والعرب والعجم.

وقد بدأت الحياة الصوفية في الإسلام بأفراد يسلكون في عبادتهم ومجاهدتهم طريقاً شخصيةخاصة، ولم يكن لهم حتى نهاية القرن الثاني الهجري حياة منظمة عامة. ولكن سرعان ما ظهرت في صفوفهم حلقات

واجتماعات في المساجد أولاً، ومن ثم في الخانقاهات والرّبط، حيث اجتمع المشايخ وحولهم جماعات منتظمة من طالبي التصوف. والطريقة، هي الأسلوب الخاص الذي يعيش الصوفي بمقتضاه في ظل جماعة من جماعات الصوفية تابعة لأحد كبار المشايخ. أو هي مجموعة التعاليم والآداب والتقاليد التي تختص بها جماعة من هذه الجماعات. وهي أيضاً الحياة الروحية التي يحياها السالك إلى الله أياً كان سواء أكان منتسباً إلى فرقة من فرق التصوف أم غير منتسب وتابع لشيخ أم غير تابع، فالطريقة بهذا المعنى «فردية» إذ لكل سالك إلى الله حياته الشخصية وعالمه الروحي الذي يعيش فيه وحده، قديماً قال بعض العارفين: «إن الطرق إلى الله بعدد السالكين إليه».

ويطلق على هذه الطريقة أسماء وأوصاف وعديدة فهي «السفر» و«السلوك» و«المعراج» و«الحج» ومإن أخذ التصوف يتبلورفي شبه مدرسة روحية ويتميز بشعائر خاصة، حتى أخذ أتباعه يجتمعون في أماكن خاصة لعبادتهم عرف واحدها بالرباط أو التكية، كانوا ينقطعون إليه ويعتزلون فيه المجتمع .يقضون نهارهم بالقراءة وليلهم بالتهجد، يقيمون حلقات الذكر ويتناولون شيئاً يسيراً من الطعام والشراب يلبسون قميصاً من خشن الصوف ويفترشون الحصير الصلب، وبعد أن يلتحق الطالب بالحياة الصوفية، يعيّن له شيخ يدربه، حتى أثبت تغلبه على نزواته وارتاض بالنهج الصوفي، يجري بعد ذلك تكريسه متصوفاً فيلبس الخرقة الزرقاء رمزاً... ويمّر بعد ذلك في أربع درجات:

أولها: درجة المريد وهو طالب الانتساب.

ثانيها: درجة السالك وهو الذي استكمل تدريبه على يد أحد المشايخ.

ثالثها: درجة المجذوب وهو الذي انجذب إلى الطريق الصوفي بكل جوارحه.

رابعها: درجة المتدارك وهو الذي نجت نفسه من غرور الدنيا.

وللصوفية معتقدات عديدة منها ما هو مأخوذ عن الفلسفة التي شاعت في الإسلام، ومنه ما هو توسع في تعاليم القرآن، ومنها ما هو نتيجة لاختبارات شخصية، ولكن مهما تعددت المذاهب، ومهما اتسعت الفرق الصوفية وكثرت طرقها فالغاية واحدة: "الاتصال بالله والاتحاد به.

وأهم الأفكار والمعتقدات المشتركة بين المتصوفة.

تعريفات جماعة الضغط:

يعرفون بجماعات الضغط لأنهم يستخدمون الضغط كوسيلة لحمل الحكومات على تلبية مطالبهم، وهنالك اكثر من تعريف لهم، كنا قد اشرنا في المقدمة إلى تعريف نعتقد به وهنا نرغب في ان نستعرض عدداً اخر من التعريفات، منها مايقول[1] "انها تمثل مجموعة كبيرة من الجماعات العرقية ووجهات النظر السياسية وهي مؤسسات طوعية" ويعرف الدكتور صادق الأسود[2] جماعة الضغط على انها "جماعة من

[1] موقع على شبكة الانترنت:www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/qpolitic وكذلك: www.taqrir.org/showarticle.cfm

[2] د.صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي ، الدار الوطنية، بغداد: 1986، ص355.

الاشخاص تربطهم علاقات اجتماعية خاصة ذات صفة دائمة او مؤقتة بحيث تفرض على اعضائها نمطاً معينا في السلوك الجماعي، وقد يجتمعوا على اساس وجود هدف مشترك او مصلحة مشتركة بينهم يدافعون عنها بالوسائل المتيسرة لديهم" قد تكون لهم مصالح يدافعون عنها وقد تكون اهداف يسعون إلى تحقيقها، والغالبية الفعالة المؤثرة من هذه الجماعات هي تلك التي تتشكل من افراد لديهم اهداف مشتركة يسعون إلى تحقيقها كالمنظمات الغير حكومية وتجمع الشركات التجارية (شركات الضغط) وسنورد فقرة خاصة فيما يعد عن دور هذه الشركات في الضغط على السياسات العامة.

يعرف (ن. هنت)[3] جماعة الضغط على انها "اية منظمة تسعى إلى التأثير على سياسة الحكومة بينما ترفض تحمل مسؤولية الحكم" هذا التعريف يجعل من الممكن ان تكون إحدى الجماعات هي الحاكم الفعلي في تسيير السياسات العامة في دولةٍ ما دون ان يعي الجميع ذلك.

اما جان دانيل[4] "فيعرفها على انها كل الجماعات التي تضغط للتأثير على السياسات العامة على الصعيد السياسي" بذلك تكون الجماعات الضاغطة هي فقط الجماعات التي تعمل على الساحة السياسية وهم يختارون ان يعملوا في السياسة خارج نطاق الأحزاب والحركات السياسية للفروقات العديدة الموجودة بين الحزب والمنظمة او المؤسسة ابتداءً من هيكلية التنظيم وحجمه مروراً بأليات العمل فأنتهاءً بالقاعدة الجماهيرية التي يحتاجها الحزب لأجل تحقيق اهدافها.

يعتبر اللوبي من اكبر جماعات الضغط في العالم، يعرفها جيمس برايس(5) "على انها إغراء البرلمان للتصويت مع او ضد مشروع قانون ما" اما ادكار لاني(6) فيقول "هم افراد يعملون في سبيل التأثير على قرارات الحكومة".

نفهم من هذين التعريفين ان اللوبي هي جماعة تعمل على التأثير على مصدر القرارات التي تتوزع على السلطتين التشريعية والتنفيذية الحاكمة في البلاد والتي تحدد صلاحياتهما من قبل دساتيرهما فيحدد اللوبي نقطة تركيزه اعتماداً على مصدر اتخاذ القرار.

مهما تبدلت الأسماء وتعددت فهي في النهاية يجب ان تضم العناصر أدناه.

نظرية المجموعة أو "الجماعة":

وصف ابن خلدون الإنسان بأنه مدني بطبيعته ولا يستطيع العيش منعزلا، ولا بد من العيش مع الجماعة التي تكون التجمعات البشرية. والجماعة حسب ما يعرفها "توماس داي" "Thomas Dye" هي

---

[3] **د. كمال المنوفي، اصول النظم السياسية المقارنة،الربيعان للنشر، الكويت: 1987، ص168.**

[4] المصدر السابق ص169

"مؤسسة اجتماعية، مكونة من عدد من الأفراد تجمعهم مصالح مشتركة متماثلة، يقومون بطريقة رسمية أو غير رسمية بالضغط على النظام السياسي ليحققوا مطالبهم أو أكبر جزء من مطالبهم على الأقل[5].

كما تؤثر الجماعة على اتجاهات وسلوك أعضائها، وتمارس تأثيراً مهماً من خلال الجماعات: الأسرة وجماعات الصحبة والمدرسة والحزب. وهذه الجماعات تغرس في عقل الفرد قيماً واتجاهات وتصورات منها ما هو اجتماعي له دلالة سياسية، ومنها ما هو سياسي وهذا يتوقف على قوة ارتباط الفرد بالجماعة. ويزداد تأثير الجماعة على الاتجاه السياسي لأعضائها إذا كانت لها علاقة مباشرة بالعملية السياسية[6].

وللجماعة دور إيجابي غير مباشر في خدمة الصالح العام، حيث تقوم بتقديم المشورة والمعلومات للمؤسسات الحكومية، لأنها أدرى بها من الحكومة لأن هذه الجماعة أو المجموعة متواجدة بين صفوف المجتمع مما يساعد الحكومة على اتخاذ القرارات المناسبة وتنفيذها، مما يؤدي إلى استتباب الأمن، وهي تعمل على المحافظة على مكتسباتها، ومصالحها وتوتر العلاقة مع السلطة إذ اختلفت مصالح الجماعة مع المصلحة العامة أو تأثرت مصالح الجماعة بشكل مباشر.

عوامل نجاح الجماعة[7]:

1- القيادة والتنظيم: إن من أهم عوامل النجاح وجود قيادة تتحمل المسؤولية وقيادة الجماعة والتخطيط والتنظيم. فالقيادة تقوم بدور مهم في توجيه الجماعة.

2- تماسك الجماعة: أو وحدة الجماعة يعزز قوتها ويقوي الانتماء تجاهها .

3- نوعية العضوية وتجانسها: فالجماعة يجب أن تكون متجانسة كنقابة المحامين مثلاً، فالقواسم والمصالح مشتركة بين أعضائها .

4- نشاط الجماعة: دراسة قرارات الحكومة مسبقا ومتابعة كل جديد في السياسات الحكومية، والاتصال بالمؤسسات الحكومية مسبقاً لثنيها عن هذه السياسات إذا تعارضت مع مصلحة الجماعة.

5- انفتاح المؤسسات الحكومية الديمقراطية يعطي الجماعة دور وتأثير أكبر كما هو الحال في دول أوروبا الغربية.

6- نوعية القرارات الحكومية ومدى علاقتها بأعضاء الجماعة وبمصالح الجماعة، كاصدار قرار يتعلق بالزراعة فإذا كان القرار يهم هذا القطاع وجماعة المصالح في هذا القطاع، فقد تقوم بمحاولة تعديل القرارات أو التقليل من آثاره الضارة.

7- حجم الجماعة ومرونتها: يلعب حجم الجماعة دوراً بارزاً في قوتها وتماسكها وتأثيرها على السياسات الحكومية فكلما كان حجمها كبيراً زاد ذلك من تأثيرها وقوتها .

---

[5] **د. عبد المجيد العزام، ود. محمود الزعبي، دراسات في علم السياسية، الطبعة الأولى(د.ن)، الأردن، 1988. ص80.**

[6] **حامد عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة طرق بحث الظواهر السياسية، منشورات قسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2000، ص 73.**

[7] د. حامد عبد الماجد، مرجع سابق ص 73، وكذلك انظر د. عبد المجيد العزام، مرجع سابق، ص 83 – 85.

أنواع التفاعلات التي تدور بين الجماعات وبين المؤسسات الحكومية[8].

1- تفاعلات رسمية أو مشروعة: وتبدأ في المراحل التحضيرية للقرارات والمشاريع.

2- التفاعلات التكافلية: تقوم بعض المؤسسات الحكومية باختيار جماعات مصالح معينة في المجتمع لتقديم المشورة والمعلومات التمهيدية للقرارات وتطبيقها، مع مراعاة مصالح الجماعة والوصول إلى حلول وسط.

3- التفاعلات التلازمية: وهي التفاعلات التي تنشأ بين مؤسسة حكومية ومؤسسة أهلية، فتكون العلاقة تلازمية بين الطرفين لحاجتهما المشتركة، وخير مثال على ذلك مؤتمر النقابات المهنية في بريطانيا والذي قام بإنشاء حزب العمال البريطاني، مما أدى إلى تلازم بينهما. ويعطي مؤتمر النقابات المهنية فرصة كبيرة للتأثير على القرارات من خلال الحزب السياسي الحاكم أو المعارض أحياناً.

4- التفاعلات غير المشروعة: وتأتي نتيجة لعزل النظام السياسي لبعض جماعات المصالح، وتكون على شكل وسائل غير مشروعة كالعنف والمظاهرات.

ومما سبق نجد أن السياسة هي التنافس والصراع القائم بين جماعات المصالح والمؤسسات الحكومية التي يحاول كل منها التأثير على الآخر.

وخلاصة القول أن الفرد بمفرده يكون ضعيفاً تجاه آلة صنع القرارات الحكومية، ولكن بوجود جماعة تمثله وتعمل نيابة عنه، فانه يكون في موقف سياسي أقوى، كما تضعف قوة الحكومة أمام مطالبه حسب رأي بيتر غيل وجفري يونتون[9].

---

[8] عبد المجيد العزام، مرجع سابق، ص 86-88 ، وكذلك انظر: د. حامد عبد الماجد، مرجع سابق، ص 72.

[9] بيتر غيل وجيفري بونتون، مقدمة في علم السياسة، ترجمة محمد مصالحة، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1997، ص 49-51.

جماعات الضغط كقنة للتنشئة:

تعمل هذه الجماعات على اختلاف أنواعها دوراً بارزاً في تشكيل اتجاهات فئات المجتمع، وخصوصاً الجماعات المتخصصة مثل جماعات الضغط الاقتصادية أو العمالية أو التجارية والصناعية والزراعية فهي أيضاً تعتبر من قنوات التنشئة السياسية المهمة، كما تلعب الطوائف الاثنية والحركات الدينية دور فاعل في التنشئة السياسية[10].

الجماعة Group Theory

برزت نظرية الجماعة رداً على التحليل المؤسسي، علاوة على أنها تمثل أحد جوانب حركة قوية أرادت تحويل اهتمام علم السياسية إلى التحليل الواقعي اللامعياري بعيد عن التحليل القيمي المعياري.

وبهذا الإطار فإن الجماعة تمثل أساس نظرية عامة في السياسة؛ ما دامت كل الأنشطة السياسية هي أنشطة جماعات، ولا توجد ظواهر غيرها، ويحقق التركيز على الجماعة مزية الابتعاد بالبحوث السياسية عن الأشياء غير الواقعية أو " الأفكار المجردة " كالسيادة والدولة.

أولاً : أسس إطار الجماعة (جماعات الضغط)[11]

لإطار الجماعة مجموعة من الأسس وهي حسب الآتي :

1- تمثل الجماعة وحدة التحليل السياسي، فتركيز الباحث ينتهي على الجماعة وليس الفرد، طالما أنها تؤثر في الحياة السياسية أكثر منه، ولكن في بعض المجتمعات يكون الفرد الحاكم أكثر تأثيراً منها، وبهذا يمثل الفرد وحدة التحليل.....

2- يحتوي النظام السياسي على شبكة معقدة من الجماعات تتفاعل وتتضاغط فيما بينها باستمرار فالضغوط والضغوط المضادة في النظام عبارة عن الصراع بين هذه الجماعات وهذا الصراع هو الذي يقرر من يحكم، ويتوقف التغير في النظام السياسي على التغير في تكوين الجماعات.

3- تؤثر الجماعات على اتجاهات وسلوك أعضائها فقد أظهرت الدراسات الخاصة بالتنشئة السياسية أن الجماعات المرجعية Reference Group تمارس تأثيراً مهماً بهذا الصدد ومن الأمثلة على ذلك : الأسرة وجماعات الرفاق والمدرسة والحزب.... فهذه الجماعات تغرس القيم الخاصة بها في عقول أعضائها...

---

[10] انظر: جبرائيل الموند، النظم السياسية المقارنة في وقتنا الحاضر ،مترجم ، عمان : الدار الاهلية للنشر ، 1998.

[11] **انظر : حامد عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة طرق بحث الظواهر السياسية، منشورات قسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2000،.**

4- تمارس الجماعات تأثيراً على النظام السياسي، ويرتكز اهتمام الباحثين على الدور السياسي للجماعات المصلحة وهي منظمات تطوعية تهدف إلى التأثير في رسم السياسيات العامة وبنفس الوقت تحجم من مسؤولية المشاركة المباشرة في الحكم وتأثيرها يتوقف على قوتها نفوذها حجمها تماسكها موارد المالية وتستخدم الجماعات في مسعاها للوصول إلى أهدافها مجموعة من الطرق والأساليب وهي المساواة التحتية، الداعية، المساندة الانتخابية، تمتين الروابط مع الأحزاب، العنف والرضا فاعلية العلاقات الشخصية مع النواب والمسؤولين العامين.

كما وتعلب الجماعات وظائف مثل زيادة مشاركة وفاعلية الأفراد والمساهمة في الاستقرار السياسي.

سلبيات وإيجابيات جماعات الضغط

اهم سلبياتها:

1- تقوم على اساس تحقيق مصالح فئوية، مما يتعارض والمصلحة العامة.

2- غالباً ما تفرض على اعضائها الولاء لها، وهذا ينافي مع ولاء العضو للجماعة الكبرى وهي الدولة.

3- تتبع معظم جماعات الضغط اساليب ملتوية في سبيل تحقيق اغراضها.

4- جماعات الضغط لاتمثل المصالح المتعارضة لجميع فئات المجتمع، فبينما توجد جماعات ضغط للمنتجين مثلا لاتوجد جماعات تقابلها للمستهلكين (بداءت تتأسس الأن في بعض البلدان). اوردت هذه الفقرة بسبب ماتم ذكره سابقاً من ان اهمية الجماعة تحدد من خلال مدى فاعليتها وتأثيرها والواضح ان فاعلية وتأثير جماعات المنتجين الضاغطة غير فاعلية وتأثير جماعات المستهلكين.

قد يحدث ان تحقق جماعات الضغط اهدافها على حساب فئة او فئات اخرى من الشعب وإن كانت اكثر منها عدداً.

اهم الإيجابيات:

1. إن جماعة المصلحين الذين ينددون بمساوئ جماعات الضغط هم انفسهم في حاجة الى ان ينظموا في جماعات كي يمكنهم التغلب على هذه المساوئ.
2. نمو الجهاز الحكومي وازدياد عدد موظفيه يهدد بالقضاء على حريات الافراد، مالم ينظم هؤلاء الافراد في جماعات قوية تستطيع ان تكون ندا لهذا الجهاز عند الضرورة، وان تحمي حرياتهم من استفحال نموه.
3. تقوم جماعات الضغط بالتاثير في الحكومة طوال الفترات بين الانتخابات العامة، بينما يكون الفرد في هذه الفترات عاجزا عن احداث اي تاثير يقابله.

4. تملك هذه الجماعات بحكم تخصصها وتمارسها بمهامها وسائل الوقوف على البيانات والاتصال بالجهات الموثوق بها واهل الخبرة في مختلف الوان المعرفة، من ثم يسهل على الحكومة دراسة مشروعات القوانين المقترحة واحسن الطرق لتنفيذها يضاف الى ذلك ان الجماعات اكثر تاثرا بالقرارات الحكومية من الافراد واقدر منهم على استثارة المعارضة السريعة الفعالة تجاه القرارات الحكومية المجحفة بحقوق الافراد والضارة بالمصلحة العامة.

الإتصال واحدة من اليات تحقيق اهداف جماعات الضغط:

تتصل جماعات الضغط بالجبهات الرسمية وغير الرسمية بطرق مختلفة منها:

– الأتصال بالوسائل المباشرة.

– الاتصال عن طريق الصحف التي تؤثر عليها هذه الجماعات، او التي تملكها بشكل غير رسمي والتأثير على وسائل الأعلام الأخرى التي تمتلكها شركات اهلية وتخضع للأغراءات المادية عادة، وهذا يقودنا إلى الحديث عن تكتيكات تحقيق الأهداف لدى جماعات الضغط والذي بدوره يرتبط بمدى فاعلية الجماعة التي ترتبط بشكلٍ او بأخر بإمكانياتها المادية.

– تعمل جماعات الضغط على التأثير بوسائل مختلفة على سياسة الدولة، من بينها السياسة الخارجية. فقد تتصل اتصالا شخصيا عن طريق رؤسائها بالمسؤلين لتنفيذ ارائها وتدافع عن مصالحها، وقد تتصل عن طريق الرسائل الخاصة مهددة او واعدة او مغرية.

اخطر صورة تظهر فيها جماعات الضغط هي تلك الصورة المضللة التي تكون فيها مواقفها اوسع من اهدافها. وهذه الصورة تضليل للراي العام وسلوك تستغل فيه المصالح الخاصة على حساب المصلحة العامة ومن اشهر جماعات الضغط والمصالح جماعة الصهيوني وجماعة الفلاحين والجماعة الكاثوليكية وجماعة رجال الأعمال وجماعة اتحاد العمال.

ولاريب في ان الوسائل التي تستخدمها جماعات الضغط في عملها لغرض التاثير على السلطة من التعدد والتنوع بحيث يصعب بيان تفاصليها جميعا، فهي مختلفة باختلاف ظروف المجتمعات والنظم السياسية فضلا عن اختلاف جماعات الضغط ذاتها.

اعتقد ان في احيان كثيرة يكون التركيز على الجماعات الإجتماعية المهمشة من افضل الوسائل لأجل الضغط على السلطة، وخاصة الضغط على المستوى الطويل الأمد.

تكتيكات جماعات الضغط لأجل تحقيق أهدافها:

1. المساواة المستترة:

يستخدم هذا التكتيك لسببين :

- الخوف من ان تؤدي العلانية إلى تفاقم التناقض
- الطبيعة السرية للنشاط الأقتصادي الخاص

2. الدعاية والمعلومات:

توجه الجماعات حملات دعائية إلى الجماهير على اعتبار ان اقناعها او اثارة اهتمامها بفكرة سوف يدفعها الى التأثير على جهاز صنع القرار.

3. المساندة الانتخابية:

مساعدة مرشح على الفوز بعد ان تم إبرام اتفاق مسبق معه سيتم تنفيذه بعد فوز المرشح على حساب اخر.

4. خلق علاقات خاصة مع الأحزاب السياسية:

خلق كتل تشريعية داخل حزب او اكثر.

5. العنف:

تستخدم بعض الجماعات العنف لتحقيق اهدافها بعد ان تفشل في تحقيقها من خلال القنوات الشرعية.

6. التمثيل المباشر:

يكون من خلال التمثيل المباشر في البرلمان.

نلاحظ من هذه التكتيكات ان الجماعة لتكون فاعلة، اي تملك القدرة على تحقيق اهدافها عليها ان تملك اقتصاداً فاعلاً، حتى في الفقرة السادسة في التمثيل المباشر في البرلمان، التي تعتبر من بين إحدى المآخذ على الديمقراطية التي لا تعتبر في احيان كثيرة مساواة في الوصول إلى السلطة بين عامة الشعب بقدر ماهي مساواة بين مالكي الإقتصاد بسبب كلفة الحملة الأنتخابية والتعبئة الجماهيرية، وفقرة الدعاية والإعلان تعطي الأفضلية لمن يمول اكثر. بذلك فاستمرارية غالبية جماعات الضغط بفاعلية تعتمد على قوة الجماعة الإقتصادية.

دارفور والصوفية نموذجا:

تقول د. إجلال رأفت الخبيرة في الشأن الإفريقي وأستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة–: " أن اسم "دارفور" هو نسبة إلى "موطن" أي "دار" قبائل "الفور"، التي وفدت منذ مئات السنين إلى غرب السودان من بلدان الجوار الإفريقية: تشاد والنيجر ونيجيريا، وسبق مجيئها إلى غرب السودان مجيء العرب المسلمين، ولكن قبائل الفور دخلت الإسلام أسوة بملايين الأفارقة جنوب الصحراء.

وعن دخولهم الإسلام أوضحت "الدكتورة إجلال" أنه تم بلا فتوح عسكرية، وذلك على أيدي التجار و(الطرق الصوفية).

واحتفظ بعضهم لقرون أخرى بعد الإسلام بلغاتهم الإفريقية الزنجية، بينما استعرب البعض الآخر".

وإقليم دارفور تقدر مساحته بـ(510) ألف كيلو متر وعلى بعد (1200) كيلو متر من العاصمة الخرطوم وهم يدينون بالإسلام بنسبة (100%).

وأهل دارفور يتبعون مذهب الإمام مالك – فقهياً – ويوجد بدارفور مجموعة كبيرة من الأضرحة أشهرها ضريح (السلطان علي دينار)، ويشتهر أهل دارفور باتباعهم الطرق الصوفية ومنها الطريقة التيجانية والأنصارية والختمية والإسماعيلية والسمانية والبرهانية والقادرية والدسوقية، إلا أن معظم أهالي دارفور تقريباً يتبعون الطريقة التيجانية التي ينتشر أفرادها من السنغال حتى السودان.

ويعتبر "محمد سلامون" في قرية "مليط " هو الذي نشر الطريقة التيجانية في دارفور، والطريقة التيجانية أسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، والذي ولد في قرية عين ماضي من قرى الصحراء بالجزائر، وعاش في الفترة ما بين (1150–1230هـ) (1737 . 1815م).

وهذه الطريقة هي فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة، ويدعون افتراءً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر شيخ طريقتهم "التيجاني" بأن هذه الصلاة تعادل قراءة القرآن الكريم ست مرات، ويزيدون على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى شيخهم مرة أخرى.

وأخبره أن المرة الواحدة من هذه الصلاة تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة، ويعتقدون أن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كان أكثر ثواباً من العارف الذي لم يذكرها، ولو عاش مليون سنة.

وأن من قرأها مرة كُفِّرت بها ذنوبه، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في الكون، كما يؤكد شيخها لأتباعه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذاته قد ضمن له ولهم الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عقاب – تعالى الله عما يصفون علواً كبيرا–.

وينتشر التكاسل الشديد بين أفراد هذه الطريقة والتقاعس في أداء العبادات والتهاون فيها، وهذا راجع لما يعتقدونه من إحراز الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد منهم.

ومن المشاهدات الملفتة بدارفور ما ذكره الكاتب السوداني المنحدر من قبائل دارفور "أحمد عبد القادر أرباب" –وهو عميد مهندس– وذلك في كتابه "تاريخ دارفور عبر العصور" الصادر في العام (1998) بالخرطوم حيث تحدث المؤلف في الفصل السادس من الكتاب عن طريقة تفرد بها أبناء الفور في دارفور وهي التي عرفت بـ"حبال الفور"، وهي طريقة متفردة يستعين الحافظ فيها بالحبال لحفظ الآيات القرآنية، وفي هذه المرحلة يعرف الحافظ أعداد حروف القرآن، ولا يعتبر الحافظ حافظاً عند الفور إلا إذا كان عارفاً بفن الحبال والحروف، وهو قمة المعرفة عند أبناء الفور.

وعن دور الطرق الصوفية في التعامل مع أزمة دارفور ومحاولة ادماج تلك الطرق في منظومة قوى المجتمع المدني كفكرة يطرحها الغرب لتشكل جماعات ضغط داخل مجتمعاتها يوضح الباحث "أبو بكر القاضي" في دراسة له بعنوان "دور مؤسسات المجتمع المدني بعد سلام دارفور" أنه يجب أن يتسع المفهوم الغربي للمجتمع المدني ليشمل الطرق الصوفية.

وأرجع الباحث طرحه هذا لعدة أسباب منها:

1- أنه يتم استبعاد الطرق الصوفية من منظومة المجتمع المدني؛ لأن هناك مأخذ على شيخ الطريقة وهو أن هذا الشيخ لم ينتخب انتخاباً حراً مباشراً، ويرى الباحث أن هذا المأخذ هو إجرائي شكلي تجاهل الجوهر والدور الوظيفي الاجتماعي الأهلي لشيخ الطريقة حسب الحال.

2- يدفع الباحث بأن الطريقة هي مؤسسة متقدمة جداً على القبيلة بل هي بوتقة لانصهار القبائل تحت ما وصفه بـ"أخوة" الطريقة.

والقاسم المشترك بين الطائفة والقبيلة من الناحية الجوهرية وبغض النظر عن طريقة وصول الشيخ لكرسي الزعامة، هو التراضي والطوعية داخل المؤسسة، ثم العمل المشترك لحماية المصالح وجلب المكاسب.

وهذا الطرح البحثي المحسوب على الإسلام انطلق من قاعدة مبتورة عقدياً ممثلة في فكر وطقوسات صوفية أفاض العلماء في خللها ليستعطف الغرب في الاستظلال بمظلة عولمية وهي "المجتمع المدني" طرحها الغرب في الأساس لتناهض الإسلام ولتذيب مؤسساته في حقيبته ولينزع عن المؤسسات الإسلامية خصوصياتها وتفردها المنهجي الرباني لتتحول إلى مجرد أداة تسيرها شبكة من الطروحات العلمانية.

ولعل هذه المبادرات البحثية هي ما دفعت الأمم المتحدة لتعيد التفكير في توظيف الطرق الصوفية في دارفور ليتم بذلك عملية الموازنة داخل الإقليم من حيث الثبات على المعتقدات الفاسدة والتصدي لأية محاولات تصحيحية لمسار عقائد الدارفوريين من قبل المؤسسات الدعوية والإغاثة الإسلامية ذات المنهج الصحيح.

ومن ذلك ما قامت به الأمم المتحدة بالتعاون مع مركز دراسات السلام وتنمية المجتمع بجامعة نيالا بولاية دارفور بغرب السودان بدعوة الطرق الصوفية بجمهورية السودان للقيام بورشة عمل مشتركة للبحث عن حلول لما وصف بمشكلة النزاع المسلح بين أهالي دارفور، حيث استجابت الطرق الصوفية بإرسال ممثلين عن مشايخها، وحضرت وفود من الطرق التيجانية والسمانية والمكاشفية والعركية والرفاعية والبدوية والبرهانية والدسوقية والشاذلية.

وقد استمر انعقاد الورشة التي تم تمويلها أجنبياً من قبل الأمم المتحدة ثلاثة أيام متتالية داخل جامعة نيال.

حيث شهدت الورشة مجموعة من الحوارات حول أوراق عمل قدمت من كل الأطراف وتمحورت في دور ذاكري الصوفية للدخول في مناطق النزاع لنشر ثقافة الذكر الصوفي والصلاة على رسول الله صلى عليه وسلم وفق رؤية ومعتقد الطرق الصوفية في الصلاة كطرح مهم على أنه حل أكيد لنزع الحقد والكراهية قبل نزع السلاح، وزراعة الحب في القلوب والألفة بين الناس ليلقوا السلاح.

وقد تم طرح أوراق عمل الورشة لمناقشة ما ورد فيها من عرض للمشكلة والحلول المترتبة عليها وكيفية اتخاذ الخطوات العملية من قبل الطرق، الصوفية والتي عرضت بعد ذلك على الوفود المجتمعة في "أبوجا" للاستنارة بما ورد فيها للوصول إلى أيسر الطرق لجمع شمل أهل دارفور على المائدة الصوفية.

وهنا وقفة فإن المأساة التي مر بها الشعب السوداني من خلال أزمة دارفور ودعوة المنظمات الخيرية لإغاثة هذا الإقليم المنكوب وعلى الرغم من الصيت الإعلامي عن الدارفوريين بأنهم أهل القرآن وهذا فخر إسلامي فإن كل ذلك يجب ألا ينسينا البعد العقدي في علاج الأزمة، فالأمر ليس مجرد غذاء أو كساء، وإنما هو بعد عقدي توحيدي يأتي قبل إشباع أية احتياجات غريزية، ولربما انفجرت أزمة دارفور لتلفت الانتباه إلى الدولة التي يؤمن الكثير من متعلميها بتلك الشركيات العقدية المصاحبة للطرق الصوفية والتي عرجنا عليها بصورة سريعة في هذا المقال وضرورة إحلال تلك المعتقدات بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.